# مطارحات في العقيدة (٢)

سماحة العلامة السيد كمال الحيدري

**المحاور الأربعة:**

إن هناك محاور أربعة، لابد أن نتوفر عليها بشكل دقيق ومتسلسل حتى ننتهي إلى النتيجة المطلوبة وهي: البحث عن دور السنّة؛ لفهم المعارف الدينية، وهذه المحاور هي:

**المحور الأول:**

هل نحتاج للسنّة ودورها في فهم المعارف الدينية والقرآنية؟

فقد يقال: إنّ السنّة ليس لها دور في ذلك، وإذا كان لها دور، فدورها هامشيّ ثانويّ، فهو لا يؤثر على المنظومة العقدية والمنظومة المعرفية للقرآن الكريم.

**ونقول:**

أولاً: إنما صار للصحابة دور باعتبار السنّة، وإلا إذا لم يكن هناك دور للسنّة، إذن ما هو دور الصحابة في ذلك؟

وثانياً: إذا لم يكن للسنّة دور، فما هي أهمية أصحّ كتابين ـ كما يقولون ـ بعد كتاب الله، وهما صحيحا البخاري ومسلم، والمجاميع الروائية والمصادر الأصلية الأخرى؟

وأمرهم عجيب فحينما يحتاجون إلى السنّة، يقولون: إن السنّة لها دور، وعندما يجدون أن السنّة ليست في مصلحتهم الاستدلال بها، ينكرون دور السنّة، ويقولون: أين دليلكم من القرآن؟

وهو تناقض يقع فيه من ليس من أهل العلم بالمعنى الصحيح، بالمعنى الدقيق، نعم حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء، وإلا السنّة إما لها دور وإما ليس لها دور، فلا معنى أنه عندما يرتبط بك الحديث تقول: ورد في صحيح البخاري، ورد في صحيح مسلم، ورد في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ولكن عندما يأتي دور مدرسة العترة وأهل البيت عليهم السلام تقول: عليكم أن تأتوا بدليل من القرآن.

لـــاذا عندما يصل الأمر بنا إلى الســـنة؛ لمعرفة حقائـــق الدين ومعارف الدين، ترفضون القبول بها، وحـــين يرتبط الأمر بكم، بالعقائد والأركان والأصول والصحابة وغيرها تستندون عليها؟

نحن نسألكم:

أين ورد أساساً بحث عن الخلفاء الثلاثة الأول والثاني والثالث؟

لم يرد شـــيء في القرآن الكريم، وكل ما تعتمدونه إنما هو من السنّة، و هل ورد في كتاب الله تعالى أفضلية الخلفاء الأربعة، أو الفضيلة لهم بحسب الترتيب الـــذي أنتم تعتقدون وهو أن الخليفـــة الأول أفضل من الخليفة الثاني، والخليفة الثاني أفضل من الخليفة الثالث، والخليفة الثالث أفضل من الخليفة الرابع؟

أتجعلون الســـنّة عِضين تأخذون ببعض الســـنّة وترفضون بعضاً آخر، تؤمنون ببعض السنّة وتكفرون ببعض. أو أنهم يؤمنون بالسنّة مادامت في مصلحتهم، ويكفرون بها عندما لا تأتي في مصلحتهم، أو تأتي في مصلحة غيرهم!

## المحور الثاني:

بعد أن يثبت في المحور الأول أننا نحتاج إلى السنّة في فهم المعارف التي أشار إليها القرآن الكريم والمعارف الدينية بشكل عام. يأتي السؤال التالي:

فما هو دور السنّة في فهم تلك المعارف؟

وقد يقال: أليس القرآن هو تبيان لكل شيء؟ أليس القرآن هدىً للناس؟ إذن ما هو دور السنة؟ وهل لازم ذلك أن القرآن يحتاج إلى من يكمله حتى

نحتاج إلى السنّة ودورها؟

ثم إننا إذا أردنا أن نستدل بالسنّة، فهل هذا يعني أنّ القرآن يوجد فيه نقص؟

إنّ القرآن لا نقص فيه، وهذه حقيقة ثابتة لا ريب فيها. إنّ القرآن غني عن كل شيء، وفي كلمة واحدة أقول: كما أنّ الله سبحانه وتعالى هو الغني، كتابه أيضاً هو الغني؛ لأنه كلام الله، والله غني وكلامه أيضاً غني؛ ولذا ورد في القرآن وصفه في آيات عديدة، منها:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً...﴾.[١]

﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾.[٢]

﴿...وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾.[٣]

﴿... وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.[٤]

فهو بيان، وهدى، ونور، وتفصيل، وتبيان... .

الآن افترضوا أنه ثبت أن هناك حاجة إلى السنّة، وثبت لنا دور السنة، وأنه ليس للتكميل، نعوذ بالله أن نقول كلام المعصوم أو كلام النبي يكمل القرآن، لا، ليس الأمر كذلك، وإنما لنكتة تأتينا سأشير إليها، ومنها إن شاء الله سيتضح معنى حديث الثقلين: «... ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً...».

## المحور الثالث:

ما هو الطريق إلى السنّة؟

بما أننا لم نسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، فلابد أن نعرف طريقنا إلى السنّة النبوية.

وهنا اختلفت مدرسة الصحابة عن مدرسة أهل البيت والعترة عليهم أفضل الصلاة والسلام، فإن الصحابة انتخبوا طريقاً للوصول إلى السنّة، تضمنته كتبهم ومصادرهم الحديثية، ولهم رجالهم الخاصون بهم. كما هو أيضاً حال مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وكل مدرسة لا تقبل في الأعم الأغلب رجال المدرسة الأخرى.

حتى أن كثيراً من رجال الحديث وهم من الشخصيات العلمية الكبيرة، سقطت عدالتهم، وسقطت وثاقتهم، وسقط الاعتماد عليهم بمجرد أنهم يتشيعون لأهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، أو بمجرد أنهم روافض بحسب اصطلاح أهل الجرح والتعديل في مدرسة الصحابة.

كما أنه وقع الاختلاف بين المدرستين في قبول الرواية، وفي خبر الواحد وشروطه، وفي الدوائر التي يقبل فيها الخبر الواحد، وفي التواتر وشروطه، وفي المستفيض...

ومن هنا لابدّ أن نتفق على المنهج العلمي الذي نتبعه، و أن الرواية إذا أردنا أن نستند إليها، لابد أن تكون مقبولة عند المدرستين معاً حتى ينطبق قوله صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

**المحور الرابع:**

ولعلّه يعدّ من أهم المحاور الأساسية، وسنتوفر عليه بشكل دقيق وعميق لاحقاً؛ وهو: ما هي الآلية وما هي الأدوات التي من خلالها نفهم السنّة؟

وكيف نفسر السنّة؟ فلو افترضنا أننا اتفقنا على هذه السنّة، وعلى الطريق الموصل إليها، ولكن كيف نفسرها؟

فقد تعددت الاتجاهات في المدرستين، فعندما تأتي إلى مدرسة الصحابة أو مدرسة العترة تجد أن هناك فلاسفة، والفلاسفة لهم اتجاهات متعددة، وتجد أن هناك عرفاء وصوفية.. وأن هناك صراعاً حاداً بين السلفية وبين المتصوفة، وكلهم يدعي وصلاً بليلى، كلهم يريد أن يفهم المعارف الدينية، أنا لا أستطيع أن أشك في هؤلاء أو في هؤلاء. هؤلاء يريدون أن يفهموا الدين، هؤلاء لهم اجتهادهم، طبعاً عندما أقول هؤلاء لهم اجتهادهم، ليس مرادي بعض هؤلاء الجهلة الذين يأتون على الفضائيات، وإنما أتكلم عن العلماء، أتكلم عن المحققين، أتكلم عن الأعلام، وهؤلاء أيضاً لهم كتبهم ومصنفاتهم في هذا المجال، ولهم آراؤهم ونظرياتهم، وهي محترمة جميعاً إذا كانت قائمة على أسس علمية منهجية دقيقة.

إذن يوجد عندنا فلاسفة، ويوجد عندنا متصوفون، ويوجد عندنا متكلمون، وأنتم تعلمون الصراع القائم بين الأشاعرة وبين المعتزلة لم ينته إلى يومنا هذا.

وعندما نأتي في الفقه توجد هناك مدرسة الرأي، وهناك مدرسة القياس.

وعندما نأتي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، نجد هناك الأخباري وهناك الأصولي، وهناك المحدث، وهناك الحكيم، وهناك العارف، ونحو ذلك.

أعلام هذه المدارس كلهم لهم غاية واحدة؛ وهي التعرف على أصول الدين ومعارفه، ولكن كل له منهجه الخاص، وأدواته الخاصة، وآليته الخاصة، ومنهجه المعرفي الخاص به للوصول للغاية المذكورة، ومن هنا تعددت عندنا

المدارس والاجتهادات والكلمات.

و كذلك في تفسير القرآن الكريم تعددت عندنا التفاسير، فإذا كان «حسبنا كتاب الله» إذن يكون الفهم للقرآن الكريم واحداً، مع أننا نجد مئة وخمسين إلى مئتي تفسير لكتاب الله تعالى. هذا منهجه فلسفي، وهذا منهجه روائي، وهذا منهجه لغوي، وهذا يعتمد القضايا الاجتماعية.. وهذه مناهج متعددة في فهم كتاب الله تعالى.

ولهذا عندما نريد أن نستدل، ينبغي أن يكون استدلالنا من كتب أعلام المدرسة، فلا يحق لنا أن نذهب إلى هنا وهناك، إلى من يدعي العلم، إلى من يسمي نفسه عالماً وهو من الجهلة، ليس مقصودي هذا الطرف دون الطرف الآخر، بل كلامي مع الكل.

## هناك اتجاهان:

بما أن حديثنا منحصر في السنّة النبوية، التي هي محل الإجماع بين المسلمين بمختلف اتجاهاتهم ومدارسهم وأفكارهم.. فهناك اتجاهان أساسيان على مستوى التحليل النظري لدور هذه السنة؛ لفهم تلك المعارف القرآنية والدينية.

## الاتجاه الأول:

وهو الاتجاه العام السائد بين المسلمين بمختلف توجهاتهم من فلاسفة ومتصوفة وعرفاء ومتكلمين وفقهاء ومعتزلة وأشاعرة؛ أن للسنّة النبوية دوراً أساسياً في فهم المعارف الدينية. فتقريباً هناك إجماع عملي على هذا،

ولعــلّ هذا يعدّ الدليل الأول علــى أن الدين لا يمكن أن يؤخذ كاملاً إلا ببركة السنّة النبوية، وأنه لا يصحّ فصل السنّة عن القرآن الكريم.

وبما أن السنّة وقع فيها وضع، وفيها روايات ضعيفة، وروايات موضوعة، وهنــاك اختلافات في النصوص الواردة؛ إذن لابدّ أن نجعل المحورية للقرآن، ولكن من غير أن ننســى دور الســنّة، وأثر الســنّة النبوية في استكشاف المنظومة المعارفية للقرآن.

أما الأدلة على ذلك، فيمكن أن نشير إلى دليلين أساسيين:

## الدليل الأول:

وهي الآيات القرآنية، وأمرُّ عليها مروراً سريعاً:

١. قوله تعالى: ﴿... **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**...﴾.[٥]

كل ما وردكم عن رسول الله ﷺ ﴿**فَخُذُوهُ**﴾ وهذا أمرٌ، وكل ما نهاكم عنه رســول الله ﷺ ﴿**فَانْتَهُوا**﴾ وهذا نهيٌ، ولو ســأل سائل: لماذا أن كل ما جاءنا سواء كان لفظاً أو تقريراً أو فعلاً لرسول الله ﷺ نأخذه...؟

لأن ذلــك كله يصدق عليه أنه (الســنّة)، ولأنّه صريح القرآن الكريم: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾.[٦]

ولا أريــد أن أدخل في بحث هذه الآية، هل تختص بأقوال رســول الله أم تشمل فعله وتقريره أيضاً؟ هذا حديث آخر مرتبط بعصمة النبي الأكرم ﷺ وأدلتها. وهو موكول إلى محله.

٢. قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**﴾.[٧]

اتبعونــي في كل ما يصدر عني من قول وفعــل وتقرير؛ وهذه الآية من

الآيات الأساسية في الوصول إلى القرب الإلهي سبحانه وتعالى، يعني أن الإنسان إذا أحب الله ليس بالضرورة أن الله يبادله الحب إلا إذا اتبع الرسولﷺ وعجيبة هذه الآية ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ يعني أن الإنسان لو أحب الله، وكان حبه صادقاً، كما لعلك تجد ذلك في النصرانية، أو في اليهودية، أو في الكنفوشوسية أو في البوذية أو... أو في أي ملة أو نحلة..

فالرسول الأعظمﷺ يقول: «إذا أردتم أن يبادلكم الله الحب ـ أي أنّ الله يحب العبد، لا فقط العبد يحب الله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٨] ـ فلا طريق لكم إلا اتباعي، وهذا الاتباع خطر جداً؛ لأنّه إذا ضممنا هذه الآية إلى آية: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ وجئنا إلى حديث الثقلين: «إني تارك ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي». وقد آتانا منه حديث الثقلين، والطريق إلى الله يمرّ من خلال اتباعه، وقد أمرنا باتباع الكتاب والعترة «ما إن تمسكتم بهما» إذن لا طريق للعبد حتى يكون محبوباً لله إلا بأن يمرّ من خلال العترة. ولكي نتبع الرسول لابد أن نتبع العترة حتى يحببنا الله سبحانه وتعالى.

٣. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.[٩]

لو كان الرسول لا يوجد عنده أمر ونهي، أي لا توجد سنّة، فلا معنى لأن يقول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ كيف نطيع من لا أمر عنده ولا نهي؟ وبعبارة أخرى يقولون: إنّ التكرار إنما يفيد التأكيد، إذا لم يمكن حمله على التأسيس. لابد أن نعرف أن إطاعة الله فيها مجموعة من الأوامر والنواهي، وإطاعة الرسول أيضاً فيها مجموعة من الأوامر والنواهي، حتى يقول الله: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، ولذا في آية أخرى

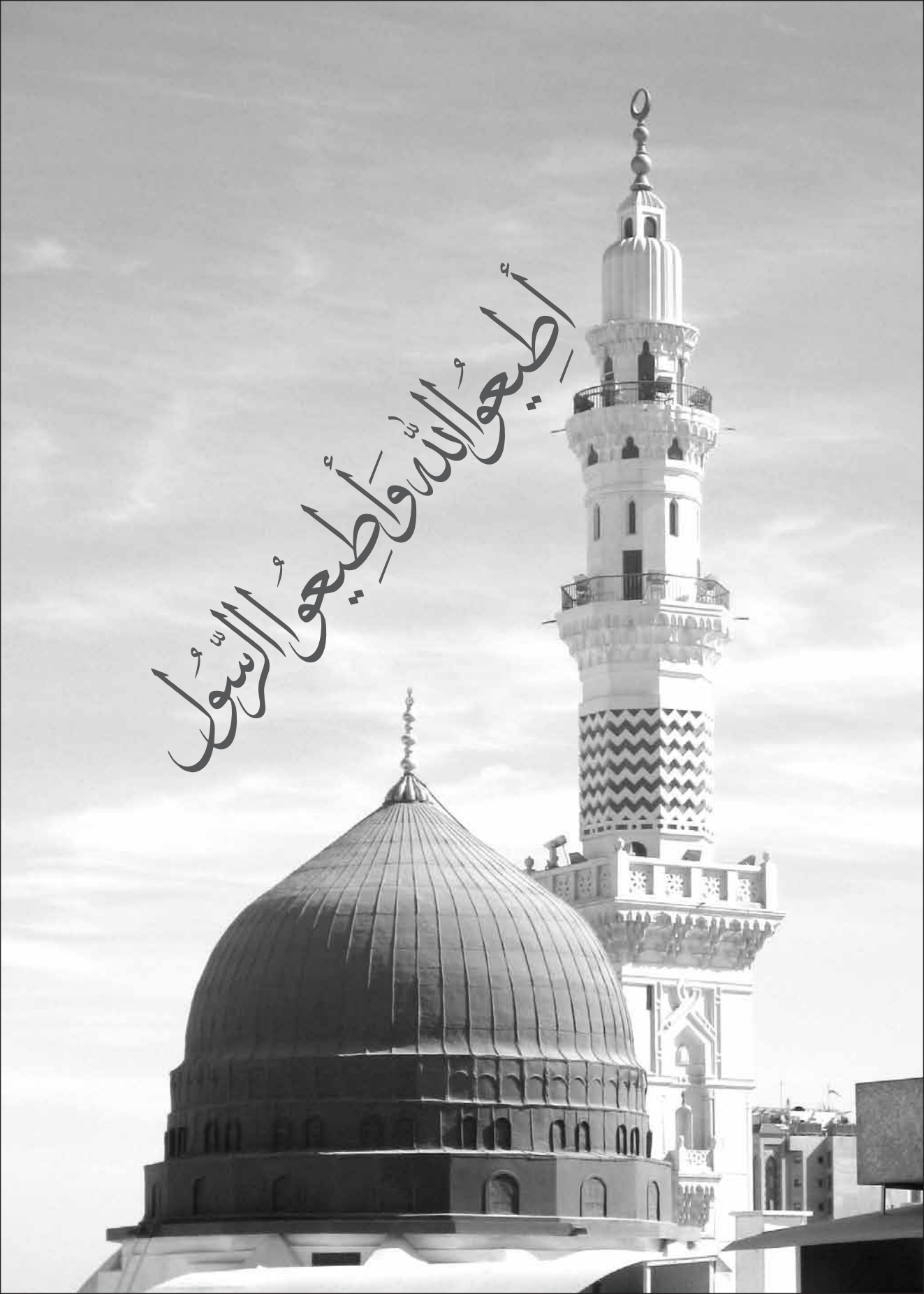
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.[١٠] لأنّه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

إذن تكرار الإطاعة، أو تكرار الأمر بالإطاعة، يكشف لنا أن الرسول صدرت منه مجموعة من السنن، التي نعبر عنها بالسنّة النبوية. وطاعة الله تتجلّى بطاعة الرسول. وطاعة الرسول أيضاً هي طاعة لله سبحانه وتعالى.

## الدليل الثاني؛ النقلي:

إنّ الدليل النقلي المتواتر المتفق عليه بين جميع المسلمين، ولا يوجد فيه مخالف واحد هو: حديث الثقلين.

قد يقال: حديث الثقلين مختلف فيه، بعض يقول: وعترتي، وبعض يقول: وسنتي.

أقول: سواء كان وعترتي أو كان وسنتي، يُثبت هذا الحديث بلفظيه أن النجاة من الضلال تمرّ ليس فقط عبرالكتاب، وإنما عبر الكتاب والعترة أوالسنّة، فلا إشكال إذن حديث الثقلين بكلا اللفظين يثبت دوراً للسنّة.

فبنصِّ حديث الثقلين أن السنّة لها أثر واضح، إلا أن النجاة من الضلالة متوقف على التمسك بالثقلين؛ لأنّه ﷺ قال: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» بهما لا بأحدهما، إذن كتاب الله وحده لن ينجي من الضلالة، السنّة من دون كتاب الله أيضاً لا تنجي من الضلالة، من الذي ينجي الإنسان من الضلالة؟ كتاب الله وسنتي، وإن كنت أعتقد أن وسنتي لا معنى له إلا وعترتي، وبحثه سيأتي، ولكن تنزلاً وقبولاً أفترض أن الحديث وسنتي. إذن هذا معناه أن للسنّة دوراً أساسياً ومركزياً ومحورياً كما

قال رسول الله: «ما إن تمسكتم بهما».

وقد يعرض لنا سؤال: هل القرآن والسنة أحدهما يكمل الآخر؟ الجواب لا، هذا في المحور الثاني إن شاء الله سنجيب عنه. وهو أن القرآن في أي شيء يحتاج إلى السنّة. وأن السنّة في أي شيء تحتاج إلى القرآن؟ وهل القرآن فعلاً يحتاج، وأن السنّة فعلاً تحتاج، أو نحن الذين نحتاج؟

## الدليل الثالث ؛ الإجماع :

وهو الإجماع العملي: فإذا لم يكن للسنّة دور، فلماذا هذه المجاميع والمصادر الحديثية والعلوم؟ وهذا من أهم الأدلة في المقام. الحديث بالمئات بل بالآلاف، سواء على مستوى مدرسة الصحابة: الصحاح، المسانيد. أو على مستوى مدرسة أهل البيت عليهم السلام: التهذيب، والكافي، ومن لا يحضره الفقيه، وإلى غير ذلك؛ هذا يكشف عن أن هؤلاء جميعاً اتفقوا على أن للحديث وللسنّة دوراً في هذا المجال. هذا هو الاتجاه الأول خلاصةً وإجمالاً.

## الاتجاه الثاني :

وهو الاتجاه الذي يظهر من البعض أنه لا حاجة للسنّة «حسبنا كتاب الله» «كتاب الله حسبنا» كلا اللفظين وردا، لا نحتاج إلى غيره. وهناك شواهد تاريخية أثبتت عكس ذلك، ومنها النصّ التالي، الذي ورد في صحيح البخاري في مواضع عديدة:

الموضع الأول: الحديث في باب مرض النبي ووفاته صلى الله عليه وآله في كتاب المغازي[١١]، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة، عن ابن عباس

قال: «لما حضر رسول الله وفي البيت رجال ـ حضر يعني حضره الموت ـ فقال النبيﷺ : «هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده».

فعلينا أن نلتفت أنّ رسول اللهﷺ هو الطالب، هو الناطق، «هلم أكتب لكم كتاباً...» وأنّ طلبه هذا يندرج تحت ﴿وَمَا آتَاكُمُ...﴾ وأنه الذي قال فيه تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ ممن هو مرتبط بالشريعة؛ ليس مرتبطاً بأمور عادية، أو بأمور حياتية دنيوية. وفيه نجاة أمته من الضلالة.

والعجيب أنّ في حديث الثقلين جاءت: «لن تضلوا» وهنا أيضاً «لا تضلوا بعده». إذن يوجد توافق بين الحديثين، وهو شاهد صدق لهذا الحديث، لأن حديث الثقلين متواتر، وهذا الحديث أخبار آحاد. و قد يقول قائل: هذا خبر واحد لا يعتمد عليه. وجوابنا أنّ فيه قرائن تدل على صدقه...

وأيضاً «فقال بعضهم: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع، قال: حسبنا، قال: فلقد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا...».

فهذا النصُّ لا يعيّن من هؤلاء الرجال، ولكن المراد من أهل البيت هم يقيناً من أعيان الصحابة؛ لأنّه من يدخل على رسول الله وهو مريض، ويحضر عنده حال الوفاة، إلا إذا كانوا من كبار الصحابة.

وتتمة النص: «فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول: غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول اللهﷺ : «قوموا». قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس: إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب؛ لاختلافهم

ولغطهم».

الموضع الثاني: الحديث (١١٤)، في باب اسم من كذب على النبي، هناك الرواية عن عبيدالله بن عباس عن عبدالله، عن ابن عباس قال: «لما اشتد بالنبي وجعه، قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إنّ النبي غلبه الوجع».

ومن الواضح المراد من عمر هنا ليس إنساناً نكرة، وإنما هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب: «إنّ النبي غلبه الوجع»،«كتاب الله حسبنا» أو«حسبنا كتاب الله» فاختلفوا إلى آخره، هذا الموضع الأول الذي ورد فيه اسم الخليفة الثاني.

الموضع الثالث: الرواية (٥٦٦٩) من الكتاب، باب كتاب المرضى، الباب السابع عشر، باب قول المريض: قوموا عني، الرواية أيضاً بنفسها عن ابن عباس، قال: «لما حضر رسول الله، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب».

وجاء هذا النص أيضاً في الحديث (٧٠٠٠) في كتاب الاعتصام باب (٢٦) كراهية الاختلاف. والرواية أيضاً في صحيح مسلم في الحديث (١٦٣٧) في كتاب الوصية، الباب٥، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه: «لماحضر، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب».

وفي الرواية: الخليفة الثاني قال: «قد غلبه الوجع»، فهل كان الخليفة الثاني أعرف بحال رسول الله من رسول الله؟!

فرسول الله ﷺ هو يطلب الكتابة، وهو الذي يقول: إنه ينفع أو لاينفع، لاغيره.

وقد يقول قائل: إن هذا اجتهاد؛ نقول: جيد. ولكن اجتهاد في قبال من؟

إنه اجتهاد لا في قبال حديث رسول الله، بل هو اجتهاد في قبال الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ القرآن بيّن أن رسوله إذا تكلم بأمر مرتبط بالشرع وبالدين فإنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾.

ولكن يأتي في مقابل ذلك من يقول: «غلب عليه الوجع»، وبالتالي لا يأخذ منه.

ثم لو قال الخليفة: حسبنا كتاب الله، وما سبق من سنّة رسول الله، لكان فقط يقصد الوجع، ولكن هو يقصد أن السنّة لا حاجة لنا بها، وأحرق الأحاديث، وهذا خير شاهد علمي وتاريخي أنه لم يكن قصده هذا الموقع، وإنما كان قصده كل السنّة النبوية.

فعبارة: «حسبنا كتاب الله» دليل على أن السنّة هامشية ولا أثر لها. ولا يستطيع أحد أن يعطيها تفسيراً آخر.. وسواء القائل به بعض الصحابة أو الخليفة الثاني، فالنتيجة واحدة، فهم «كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» إذا صحّ الحديث.

وبالتالي فهذه الواقعة تنسف لنا نظرية عدالة الصحابة من الأساس خصوصاً إذا قبلنا برواية البخاري، التي هي الرواية (٤٤٣١) باب (٨٣) من كتاب المغازي، قال: «إئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا .. إلى أن قال: فقالوا: ما شأنه أهَجَر».

إذن نسبوا إليه الهجران، وهذا معناه أن الذي نسب ذلك، كان من أعلام الصحابة، من أهل الحل والعقد، هم الذين حضروا البيت، الذين يسمح لهم أن يكونوا حول رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا لم يحضر عموم الصحابة .. إنّ هذه الرواية تنسف لنا نظرية الصحابة من أساسها؛ لأن هذا يؤدي إلى

إشكال في عقيدة هؤلاء، في إيمان هؤلاء، طبعاً في إيمان بعضهم. ونحن نعتقد أن الصحابة ليسوا جميعاً على درجة واحدة، فيهم الذي لابد أن يُقتدى به، وفيهم الذي لابد أن يُؤخذ منه، ومنهم من آمن، ومنهم من كفر، وفيهم المنافقون .. وهو صريح القرآن. وهذا وغيره يدعونا إلى أن نضع عدالة الصحابة في الميزان.

## نظرية عدالة الصحابة:

لقد احتلّت هذه النظرية مساحةً واسعةً في الساحة العقدية والفكرية والتشريعية، بل ملأت التاريخ أيضاً، كما أنها شغلت أقلام وأذهان الناس كثيراً، حتى باتت تعرف بين جمهور المسلمين بنظرية عدالة الصحابة. وسنبحثها في محاور:

## من هم الصحابة؟

## ما الدليل على عدالتهم؟

## ما الدليل على أنهم كلّهم عدول؟

## ما الميزان الذي يميّز به الصحابي عن غيره؟

فهنا محاور عديدة، ولكن في البدء أين تكمن أهمية بحث نظرية عدالة الصحابة؟

في مثل هذا الوقت، يعني ما الأهمية الخاصة؟

في مدرسة الصحابة بمختلف اتجاهاتها الفكرية والعقدية والسياسية

وغيرها، تعني نظرية عدالة الصحابة أنهم جميعاً عدول من غير أن يستثنى منهم أحد.

اما أهميـــة هذا البحث، فإنها تتأتى من أنّ هـــذه النظرية وهي عدالة الصحابة، تمثل المرجعية الأساسية في مدرسة الصحابة لفهم دين الله، سواء كان على مســـتوى القرآن، أو على مستوى السنّة النبوية، ففهمهم للقرآن الكريـــم يمرّ من خلال فهم الصحابة، ومعرفتهم للســـنة هو الآخر يمرّ من خلال الصحابة، فهي تشكل عمقاً وركناً أساسياً في هذه المدرسة.

فمن باب التنظير والتشـــبيه، وحتى أُقرب هذه المسألة إلى ذهن القارئ، أنّ نظرية عدالة الصحابة في مدرســـة الصحابة بمختلف اتجاهاتها؛ بُعدُها أثرُها، أهميتُهـــا، ركنيتُها، كنظرية الإمامة في مدرســـة أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والســـلام) كيف نحن نعتقد بأنّ فهم القرآن وفهم الســـنّة، وبالتالي فهم الدين بشـــكل عام، لا يكون إلاّ من خلال الأئمة المعصومين الذين نعتقد بعصمتهم. فالصحابة عندهم بدل الأئمة المعصومين عندنا. ولا أقـــول: إنهم أعطـــوا العصمة لهم؛ لأنهم يصرحـــون أنهم لا يقولون بعصمتهم. نعم، قالوا بعدالتهم، والعدالة هي أنزل من العصمة بمراتب.

فهـــم من الناحية النظرية، يصرحون أنّ جميـــع الصحابة عدول، ولكنه أيضاً يعتقدون بأنهم قد يخطئون، قد يشـــتبهون، قد ينســـون، إلى غير ذلك. وهذا هو الفارق الأساســـي بين ما نحن نعتقده في أئمة أهل البيت وبين ما يعتقدونه في الصحابة، ولكنهم من الناحية الواقعية والعملية تعاملوا مع الصحابـــة تعامل العصمة، تعامل المعصوم؛ ولـــذا وجدت عندهم نظرية تسمى بمذهب الصحابي، فمن الناحية الأصولية أهل الاختصاص عندهم

يميزون بين سنّة الصحابي وبين مذهب الصحابي:

مرادهم من سنّة الصحابي؛ ما ينقله عن الرسول صلى الله عليه وآله.

أما مرادهم من مذهب الصحابي؛ فهو ما يجتهده الصحابي ويقوله من غير أن يسند كلامه إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. وقد ذهب بعضهم إلى حجية سنّة الصحابي، بل ذهبوا حتى إلى حجية مذهب الصحابي، وهذا يكشف عن أنهم تعاملوا معهم من الناحية العملية والواقعية تعامل العصمة، وإن كانوا من الناحية النظرية يقولون: إنهم لا يعتقدون بعصمة أي صحابي حتى لو كان هذا الصحابي علياً أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام).

أما حديث «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»

فهم ـ وللصدق والإنصاف ـ يعتبرونه من الضعاف ولا يعتمدونه... وياليت أنهم يتحلّون بالصدق والإنصاف والتثبت عندما ينقلون عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وليعرفوا أن كثيراً مما ينقلونه عن هذه المدرسة لا أساس له.

إذن فأهمية البحث تكمن في هذا الركن الأساسي في مدرسة الصحابة، وهو المرجعية الأساسية لفهم الدين، فإذا استطعنا أن نتبين عدم صحة هذه النظرية، فالبعد النظري في هذه المدرسة وهو المرجعية الأساسية لفهم الدين سينهار، وبانهيار هذه النظرية تنهار كل مدرسة الصحابة؛ لأنّ فهمهم للدين قائم على أساس نظرية عدالة الصحابة جميعاً، فتفسير القرآن والسنّة والحلال والحرام، وكل الأمور عقدية كانت أو إيمانية أو تشريعية، لابد أن تؤخذ من الكتاب والسنّة، وطريقهم إلى الكتاب والسنّة

يمــرُّ من قناة الصحابــة في الأعم الأغلب. علماً بــأن نظرية الصحابة لا تعتقد بالعقل ولا تعتقد بحجيته، فإذا ثبت أن هذه النظرية لا أساس لها لا قرآنياً ولا على مســتوى سنّة رسول اللهﷺ عند ذلك لا نحتاج أن ندخل في تفاصيل المناقشة في مدرسة الصحابة، بل تنهار النظرية بطبيعتها بأساسها، كما لو انهارت عندنا نحن في مدرســة أهل البيت مسألة الإمامة، فإن كثيراً مــن الأمور العقدية والحلال والحرام أيضاً تنهــار بانهيارها، فمثلاً الحلال والحرام وما يبينه أئمة أهل البيت ليس من عند أنفســهم، وإنما هو رواية عن رسول اللهﷺ وهناك روايات كثيرة أكدت على هذه الحقيقة أن حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث أبيه إلى أن يصل إلى رسول اللهﷺ فحديثه حديث جبرائيل، وحديث جبرائيل حديث الله سبحانه وتعالى.

إذن نفس هذه الموقعية والأهمية الموجودة للإمامة في مدرسة أهل البيت، نجد نظيراً لها في مدرســة الصحابة. أعطي هذا الموقــع هذا الدور؛ بعبارة أخرى أن مدرسة الصحابة ومدرسة الخلفاء الثلاثة الأول والثاني والثالث ومن جاء بعدهم من الحكم الأموي والعباســي، كلّهم حاولوا بما أوتوا من قوة أن يجدوا أساساً نظرياً لأمر يكون بديلاً عن أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ولذا حاولوا:

أولاً: أن يُقصوهم سياسياً كما حصل بعد رسول اللهﷺ .

وثانياً: أن يبعدوهم عن المرجعية الدينية بمختلف الأساليب.

وثالثاً: أن يستبدلوا مرجعيتهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) بمرجعية عدالة الصحابة جميعاً.

إذن أنا أتصور من الناحية العلمية، ومن الناحية العقدية، ومن الناحية

المعرفية أن نظرية عدالة الصحابة في مدرسة الصحابة، ونظرية الإمامة في مدرسة أهل البيت، تشكّلان عنصرين أساسيين في هاتين المدرستين، فإن ثبتت تلك فالحق معهم، وإن ثبتت هذه فالحق معها، وتنهار الأخرى. ومن هنا تأتي أهمية البحث في نظرية عدالة الصحابة.

## فمن هو الصحابي؟

في المقدمة لابد أن أقول في كلمة واحدة وبشكل واضح وصريح، بل وبعنوان التحدي العلمي: لم يرد عنوان الصحابي أو الصحابة أو الصحبة لا في القرآن، ولا في حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله متفق عليه بين الفريقين.. نعم هناك عشرات الموارد التي فيها أصحاب وفيها صاحب.. وسنتوفر على ذلك في محله: أن هذا اللفظ استعمل قرآنياً، فهل أريد منه المعنى اللغوي، أو أريد منه المعنى الاصطلاحي، الذي تصطلح عليه مدرسة الصحابة؟

أما في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ورد في البخاري ومسلم ومسانيد ومجامع أخرى: «أصحابي كالنجوم..»،«من آذى أصحابي فقد آذاني».

إلا أن هذه الروايات ليست حجة علينا؛ لأننا قلنا في أول هذه الأبحاث: إننا نحاول أن نأتي بروايات متفق عليها بين علماء المسلمين حتى تكون مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» وهذا بحثه سيأتي.

من هنا سأبين أننا عندما نأتي إلى تعريف الصحابي بحسب الاصطلاح أو الصحبة أو الأصحاب، نجد أن كل من عرّف الصحابي والصحبة اصطلاحاً، لم يستند فيه لا إلى آية قرآنية، ولا إلى حديث من رسول الله صلى الله عليه وآله.

نعم هم أعطوا تعريفاً، أما هذا التعريف ما هو مستنده؟ ما هو أساسه؟

إلى أي شيء استندوا في تعريفهم؟

نعـــم في القرآن الكريم، ورد المهاجرون، و ورد الأنصار، و وردت الأمة، ولكن هذه المفردات، لا علاقة لها بالصحابي والصحبة والأصحاب.

وفي حديث رسول اللهﷺ ورد أصحابي، افترضوا كالنجوم، ولكنه لم يأت عن رسول اللهﷺ حديث يعرّف به ما هو المقصود بالصحابي.

إذن كل هذه التعريفات، التي سوف نقرأها هي اجتهادات من المتأخرين في القرنين الرابع و الخامس.

ففيما يتعلق بتعريف الصحابي بحســب الاصطــلاح الموجود عندهم، أشير إلى مصدرين أساسيين في هذا المجال:

**المصدر الأول:**

أســد الغابة في معرفة الصحابة لعزالدين بن الأثير أبي الحسن علي بــن محمد الجزري (ت٦٣٠) من الهجرة،[١٢] تحت عنوان فصل: نذكر فيه من يطلق عليه اسم الصحبة:

قال الإمام أبوبكر أحمد بن علي الحافظ بإســناده عن سعيد بن المسيب أنه قال: الصحابة لا نعدهم، إلا من أقام مع رسول الله سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين.

قال الواقــدي: ورأينا أهل العلم يقولون: كل من رأى رســول اللهﷺ وقد أدرك الحلم فأســلم، وعقل أمر الدين ورضيه، فهو عندنا ممن صحب رسول اللهﷺ ولو ساعة من نهار.

وقال أحمد بن حنبل: أصحاب رســول اللهﷺ كل من صحبه شــهراً أو

يوماً أو ساعةً أو رآه.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري: من صحب رسول اللهﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

وقال القاضي أبوبكر محمد بن الطيب: لا خلاف بين أهل اللغة في أن الصحابي مشتق من الصحبة، وأنه ليس مشتقاً على قدر مخصوص منها، بل هو جار على كل من صحب قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال؛ ولذلك يقال: صحبت فلاناً حولاً وشهراً ويوماً وساعةً، فيوقع اسم الصحبة لقليل ما يقع عليه منها وكثيره.

وقال أبو حامد الغزالي: لا يطلق اسم الصحبة إلا على من صحبه، ثم يكفي في الاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة، ولكن العرف يخصصه بمن كثرت صحبته.

إلى هنا اتضح أن كل هذه التعريفات، وتعريفات أخرى سأشير إليها، لا تذكر دليلاً لا من القرآن ولا من السنة، فهي خالية من أي مستند، ولا تخرج عن كونها اجتهادات.

## المصدر الثاني:

الإصابة في معرفة الصحابة، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ من الهجرة)؛[١٣] تحت عنوان في مقدمة المؤلف: الفصل الأول في تعريف الصحابة.

قال في تعريف الصحابي: وأصح ما وقفت عليه من ذلك: أنّ الصحابي من لقي النبيﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام.

فيدخل «من لقيه، من طالت مجالســته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يــرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤيةً ولو لم يجالســه، ومن لم يره لعارض كالعمى». أيضاً يعدّ صحابياً، ثم يدخل في بيان أنه هل يشمل هذا التعريف الجن أو لا يشمل الجن؟

فيصرحون بأنّ الجن أيضاً من أصحاب رسول اللهﷺ ولذا ينقل ـ وهذا عجيــب ـ عن ابن حزم في كتــاب الأقضية من المحلّى يقــول: «من ادعى الإجمــاع فقد كذب على الأمة، فإن الله تعالى قــد أعلمنا أن نفراً من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبي فهم صحابة فضلاء، فمن أين للمدعي إجماع أولئك ؟».

فالإجماع لابد أن يكون من أمة الجن والإنس، ومن يســتطيع أن يتعرف على رأي الجن؟!.

ثم يدخل في بحث مفصل: هل الملائكة يدخلون أو لا يدخلون؟ ثم يذكر بحثاً آخر وهو: هل يشــمل من مات على الإســلام، من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردّته؟ يقول: لا، هذا ليس صحابياً، أما من كان مسلماً ثم صار كافراً ثم عاد إلى الإسلام ولم يره، يقول: أيضاً يكون من الصحابة، إلى أن يقــول: وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما، ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة.

إذن القول المشهور والمحقق عند هؤلاء الأعلام جميعاً، هو القول الأخير: «أنه كل من لقي النبيﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام» حتى ولو رآه وهو ميــت. أي أنّ النبي حتى وإن كان على فراش الموت لم يدفن بعد، فمن رآه صار صحابياً. فنفس هذه الرؤية تجعله من الصحابة. وبالتالي يتضح من هذا

أن عدد الصحابة ليس له حدٌّ. فكل الذين آمنوا برسول اللهﷺ وأسلموا على يدهﷺ فهم صحابة، إلا من لم يأت إلى المدينة، ولم يرَ رسول اللهﷺ. ولذا الجزري يقول: «وأصحاب رسول الله على ما شرطوه كثيرون، لا يمكن عدّهم. فإن رسول اللهﷺ شهد حنيناً ومعه اثنا عشر ألفاً سوى الأتباع والنساء» فقط الرجال كانوا اثني عشر ألفاً، فإذا حسبت النساء، يصلون إلى العشرين أو الثلاثين أو الأربعين ألفاً.

«وجاء إليه «هوازن» مسلمين، فاستنقذوا حريمهم وأولادهم، وترك مكة مملوءة ناساً، وكذلك المدينة أيضاً، وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين، فهؤلاء كلهم لهم صحبة». وقد شهد معه معركة تبوك من الخلق الكثير مالا يحصيه ديوان، وكذلك حجة الوداع وكلهم له صحبة، ولم يذكروا إلا هذا القدر وهو سبعة آلاف وسبعمئة وثلاثة من الأصحاب رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً، هؤلاء الذين أحصيناهم هؤلاء الذين وجدنا أسماءهم، ولم يذكروا إلا هذا القدر، إذن الصحابي: كل من رأى رسول اللهﷺ ولو كان الرسولﷺ على فراش الموت، ولو لم يغزو معه، ولو لم يخرج معه ولو ولو... .

## الخطورة!

فما هو الأمر الخطير المترتب على ذلك؟

أقول: إذا كان كل همهم أن يثبتوا أن هذا الشخص صحابي، لا محذور فيه. حتى وإن لم يرَ رسول اللهﷺ حيّاً بل رآه ميّتاً، فلا مشكلة في هذا، ولكنّ المشكلة والخطورة تكمن فيما ترتبه مدرسة الصحابة على الصحبة.

الخطورة تكمن في أنه لو لم يرَ رسول الله ﷺ ولم يتعلم من رسول الله ﷺ ولم يجالسه ولم، ولم... وبمجرد أن رآه ولو على فراش الموت فهو من الصحابة العدول الثقات الذين يدخلون الجنة...!

**أقوالهم في ذلك:**

* قال ابن حجر العسقلاني: «اتفق أهل السنّة على أنّ الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة».[١٤]

إذن القضية إجماعية، لا خلاف فيها في مدرسة الصحابة بمختلف اتجاهاتها، بمجرد أن رأى رسول الله ﷺ صار عدلاً، وليس فقط صار عدلاً، بل لو فعل ما فعل، لا تسقط عدالته أبداً، ولو قتل ما قتل لا تسقط عدالته، حتى لو قتل الحسين بن علي، فهو من الصحابة العدول، لو خرج على إمام زمانه كما خرج معاوية على الخليفة الرابع على حدٍّ اصطلاحهم لا تسقط عدالته، هو اجتهد فأخطأ. ولكن الغريب أنه من يخرج على الخليفة الأول يكون كافراً ومرتداً، وتسمى حروب الردة، ولكنه من يخرج على الخليفة الرابع علي، يسمى مجتهداً..!!!

فهم قد فرقوا حتى بين الخلفاء، حتى فيمن جعلوه هم بأنفسهم خليفة رابعاً، وهم يقولون: نحن لا نفرق بينهم، كيف لا تفرقون؟! أمِنَ الإنصاف أنه من يخرج على الخليفة الأول يكون مرتداً وكافراً وخارجاً عن الدين ويُقتل ويُذبح، أما من يخرج على الخليفة الرابع، فيعدّ مجتهداً... وهذه عبارات ابن كثير وغيره:

* قال ابن كثير في مقدمة الكتاب (جامع المسانيد و السنن)

عاشــراً: رأيه في علي ومعاوية، بعد أن يقــول: «إن أصحاب علي أدنى الطائفتــين إلى الحق».[١٥] مراده أقرب الطائفتين، فالمعركة بين علي ومعاوية، كان علــي فيها أقرب للحق ومعاوية أبعــد. أي أن معاوية على حق أيضاً، وهذا هو مذهب أهل الســنّة والجماعة، فالقضية ليســت قضية رأي ابن كثير، أن علياً هو المصيب، وإن كان معاوية مجتهداً، وهو مأجور إن شاء الله، ولكنْ عليٌّ هو الإمام فله أجران، كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص أنّ رســول اللهﷺ قــال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد».

فلمــاذا لا تقولون لمن خرج على أبي بكــر: إنه اجتهد أيضاً، وقد كان بعضهــم من الصحابــة، وبالتالي فهو صحابي اجتهــد فأخطأ؟ لماذا صار كافراً؟ لماذا صار مرتــداً؟ أما معاوية في موقفه ضد عليٍّ، فقد أصبح مجتهداً وله أجر!

أقول قولي هذا للمنصفين، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وإلا الذين على آذانهم وقرٌ، هذا الكلام لا ينفع معهم، أولئك الذين لهم قلــوب لا يفقهون بهــا، أولئك في الواقع كالأنعام بــل هم أضل، أولئك الذيــن على قلوبهــم غطاء وعلى سمعهم ختم، وعلى أبصارهم غشــاوة، أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون.

ثــم لماذا عندما تأتون باســم معاوية، تقولــون: أمير المؤمنين معاوية بن أبي ســفيان (رضي الله عنــه) ولكن لم أسمع أحداً منكــم عندما يأتي إلى الخليفة علــي بن أبي طالب يقول: أمير المؤمنين علــي بن أبي طالب؟ ما الــذي في قلوبكم على علي يــن أبي طالب؟ أين المشــكلة؟ لماذا عندما

تذكرون اســم علي لا تقولون أمير المؤمنين؟ لمــاذا عندما تقولون: الخليفة الأول، والخليفة أمير المؤمنين فلان، بــل حتى عندما يصل الأمر إلى معاوية تقولون: أمير المؤمنين معاوية، بل حتى يصل الأمر إلى من قتل الحســين ابن بنت رســول الله، تقولون أمير المؤمنين يزيد، ولكنه عندما تصلون إلى علي، تقولون: عليٌّ، لماذا؟ أين أدبكم، الذي يجب أن يكون مع الجميع؟ والحديث ذو شجون!

## الضابط، ومَن آمن به:

نعود إلى معرفة الضابط، الذي على أساسه نعدُّ أن هذا الإنسان صحابي أو ليس بصحابي:

والضابط هو: «من لقي النبيﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام». فيدخل فيمن لقيهﷺ، من طالت مجالســته أو قصرت، ومــن روى عنه أو لم يروِ، ومن غزا معه أو لم يغزِ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالســه، ومن لم يره لعارض كالعمى...».[١٦]

إذن فــكل من لقي النــبيﷺ ورآه وهو على الإســلام وآمن به، فهو صحابي، ولو كان للحظة واحدة فضلاً عن أن يكون معه لساعة أو لشهر أو لســنة أو لسنين... بعبارة أخرى سواء لازمه أو لم يلازمه، نقل عنه حديثاً أو لم ينقل عنه حديثاً، غزا مع الرسولﷺ أو لم يغزِ معه... وفي عبارة الحاكم النيسابوري أنه يشمل حتى الصبيان والأطفال الذين رأوه في عام الفتح.

وعن هذا التعريف، يقول ابن حجر:

«وهذا التعريف مبنيٌّ على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه

اعلم أن الموفق للتقى

أحمد بن حنبل ومن تبعهما».[١٧]

إذن هو يعتقد أنّ الرأي التحقيقي هو هذا الرأي الذي يسع جميع من رأى النبيﷺ... وهذا يكشف على أنه يوجد قول آخر في هذه المسألة، ولكن المختار عند ابن حجر هذا، وهو الأصح عند المحققين كما يعبر عنه، وهذا يعني أنّ هناك قولاً صحيحاً؛ وهنا أشير إلى بعض أسماء الأعلام من الذين آمنوا بهذا الضابط:

البخاري (ت٢٥٦ من الهجرة) في أحد قوليه، ويوجد له ضابط آخر، ولكن المشهور عنه هو هذا الضابط الذي أشرنا إليه.

أحمد بن حنبل (ت٢٤١ من الهجرة) في قول له.

الحاكم النيسابوري، صاحب المستدرك على الصحيحين.

ابن الصلاح (ت٦٤٣ من الهجرة) في مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: بنت الشاطئ.

ابن الحاجب (ت٦٤٦ من الهجرة).

الإمام ابن كثير (ت٧٧٤ من الهجرة).

ابن الوزير (ت٨٤٢ من الهجرة).

الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢ من الهجرة).

الصنعاني (ت١١٨٧ من الهجرة).

هذه خلاصة ما أشرنا إليه من النظرية، ويعدون النظريات الأخرى في ضابط الصحابي ومعرفة الصحابي من الأقوال الشاذة، كما يذكر في الإصابة «ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة».

ولا بدّ لي من أن أشير إلى أن هناك جملةً من أعلام مدرسة الصحابة

على اختلاف في الضوابط التي ذكروها، لا يقبلون هذه الدائرة الواسعة لمعرفة الصحابي، وإنما يضيقون الدائرة، فعلى سبيل المثال، بعضهم يقول: لا يعدُّ صحابياً إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة، وهي: من طالت مجالسته أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه صلى الله عليه وآله أو استشهد بين يديه. فأدخلوا بعض القيود وضيقوا من دائرة الصحابة، إلاَّ أنّ النظرية أو النتائج المترتبة لا فرق فيها.

و أشير إلى بعض الأعلام حتى يتضح بأنّ ما ذهبوا إليه من أقوال، ليست أقوالاً شاذة، كما يقول في الإصابة، فمن هؤلاء:

أنس بن مالك (ت٩٢ هـ )؛ جابر بن عبدالله (ت٨٧ هـ )؛ سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ)؛ معاوية بن قرة المزني (ت١١٣هـ)؛ الواقدي (ت٢٠٧هـ )؛ يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ )؛ أبوحاتم، العجلي (ت٢٦١هـ )؛ أبو زرعة؛ الباقلاني؛ الماوردي؛ ابن عبد البر في بعض أقواله؛ المازري؛ والبغوي؛ وابن الجوزي؛ وابن العباد الحنبلي؛ واللكنهوي؛ وجملة من أعلام المسلمين، لا يوافقون على الضابط الذي ذكر على سعته الواسعة، نعم يختلفون فيما بينهم في القيود وفي الشروط التي يضعونها للصحابي.

ولذا قال ابن عبد البر في مقدمة كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، عندما يأتي إلى ضابط معرفة الصحابي، وتحت عنوان: من هو الصحابي، يقول: الصحابي عند علماء الأصول... والصحابي عند علماء الحديث...[١٨].

وهذا يكشف عن أنه يوجد اختلاف في تعريف الصحابي، فمنهم من قال: هو من طالت مجالسته، ومنهم من قال: هو من ظهرت صحبته

لرســـول الله ﷺ وهو قول شيوخ المعتزلة، ومن قال : هو من أكثر مجالسته... ومنهم من قال كابن الصلاح حكاية عن أبي المظفر الســـمعاني أنه قال: «أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة، ويتوسعون حتى يعدّ من رآه رؤية من الصحابة...». أي بمجرد أن يراه يكون من الصحابة.[١٩]

هذا وإني لم اســـتقرئ جميع علماء المســـلمين حتى أرى من يقبل القول الأول أو الثاني، أو الضابط الأول أو الثاني. المهم هاتان نظريتان في ضابط معرفة الصحابي، ولا يختلفان إلا في السعة والضيق، فالضابط الأول أوسع من الضابط الثاني.. ولكن ما نســـمعه وما نشاهده أنهم يأخذون بالأول، والذي هو رأي جملة من المحققين، وخصوصاً في مدرســـة الســـلفية الحديثة وبالذات عند الشيخ ابن تيمية، ولعلّ له رأي آخر، ولكن السلفية الحديثة تؤمن بهذا الاتجاه الذي أشرنا إليه.

وأنا عندما أقول: السلفية الحديثة تؤمن بهذا الاتجاه، لا يأتي قائل ويقول: إنّ فلاناً لايقول بهذا القول.. فأنا أتكلم بشكل عام، وأتكلم عن الأعلام، أتكلم عن المدرسة لا عن الأفراد.

## طبقاتهم أو مراتبهم:

أما مراتبهم، فنجدها في كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري ـ وللعلم أن هناك اختلافاً في طبقات الصحابة ـ يذكرأنّ

أولهم: قوم أسلموا بمكة، كالخلفاء الراشدين.

الطبقة الثانية: أصحاب دارالندوة.

الطبقة الثالثة: المهاجرة إلى الحبشة.

الطبقة الرابعة: الذين بايعوا النبيﷺ عند العقبة.

الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثانية.

الطبقة السادسة: أول المهاجرين، الذين وصلوا إلى رسول اللهﷺ وهو بقباء.

الطبقة السابعة: أهل بدر.

الطبقة الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان.

الطبقة العاشرة: المهاجرة بين الحديبية والفتح كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

الطبقة الحادية عشرة: هم الذين أسلموا يوم الفتح.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوا رسول اللهﷺ يوم الفتح، وفي حجة الوداع وغيرها.[٢٠]

هــؤلاء هم طبقات الصحابة، وحتى الصبيان والأطفال الذين رأوه يوم الفتح أيضاً فهم مشمولون بطبقات الصحابة.

وفي كلمات ابن سعد وغيره أنّ الصحابة خمس طبقات، وبعض يقول: سبع طبقات، وبعض آخر يقول: خمس عشرة طبقةً.

فيما الخطيب البغدادي يقول: سبع عشرة طبقةً.

وكلّ هذا لا يؤثر على حديثنا.

**عدالتهم:**

فعلى كلتا النظريتــين الأولى أو الثانية في تعريف الصحابي، من ثبت

أنه رأى النـــبي فقط وبأي طريق ثبت هذا، تثبت له العدالة المصطلحة في الأبحاث الفقهية، هذا على مستوى هذه الدنيا وهذه النشأة، ويثبت أنه من أهل الجنة قطعاً وجزماً على مستوى النشأة الآخرة. وهذا هو المفصل الذي يفصل مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن مدرســة الصحابة في تقييم الصحابة، وهذه هي نقطة الافتراق الأساســية بين مدرســة الصحابة وبين مدرســة أهل البيــت. فبمجرد أنه صحابي فهو عادل عدالة تامة أولاً، وهو من أهل الجنة بلا شك ولا ريب ثانياً.

وإليك كلمات كبار علماء مدرسة الصحابة:

* قــال محمد بن عبــد البر القرطبي: «وهم صحابتــه الحواريون الذين وعوها، وأدوها ناصحين محســنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، وقد أثنى الله عزّوجلّ عليهم، ورضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عزّوجلّ عليهم، وثناء رســوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه؛ قال الله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ اَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ اَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الاِنْجِيلِ ...**﴾.[٢١]

فقــط في هذه الآية: ﴿... **وَالَّذِينَ مَعَهُ اَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...**﴾ فأين هذه الآية من الصحابــة؟ أين عنوان الصحابة من عنوان ﴿... **وَالَّذِينَ مَعَهُ اَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...**﴾؟ أين المعية؟ أنتم تقولــون: ليس بالضرورة أنه غزا أو لو يغزو معه، جالسه أو لم يجالســه، فيما الآية تقول: ﴿...**وَالَّذِينَ مَعَهُ اَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً...﴾.

هذا مثل الذين معه أشـــداء على الكفار، فهو ليس مثل الصحابة. ولو كانت الآية تتكلم عن الصحابة لكان الكلام تاماً.

* قـــال الخطيب البغدادي في الكفايـــة، مبوباً على عدالتهم: «ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة، وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم، وإنما يجب فيمن دونهم، كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبيﷺ، لم يلزم العمل به، إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم ســـوى الصحابي، الذي رفعه إلى رسول اللهﷺ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهـــم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، والأخبار في هذا المعنى تتســـع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القـــرآن، وجميع ذلك يقتضي طهـــارة الصحابة والقطع على تعديلهـــم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مـــع تعديل الله تعالى لهم، المطّلـــع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق لهم».[٢٢]

إذن فلا يحق لأحد أن يسأل عن صحابي أنه جيد أو لا، بل ليس من حق أحد أن يسأل عن عدله وجرحه أبداً؛ فالصحابة كلهم مطهرون، هذا الذي قلته: إنهم من الناحية العملية يتعاملون مع الصحابة تعامل معصوم، وإن كانوا من الناحية النظرية يقولون: لا.

نعم لك أن تسأل عمن هم دون الصحابة.

هـــذه نظرية الصحابة. فهم يريـــدون أن يرتبوا هـــذه النتيجة الخطيرة العقائدية والعملية حتى على من جاء ووقف وراء رســـول اللهﷺ، أو جاء ورآه في المســـجد فصلى خلفه من بعيد، صار عدلاً، صار طاهراً، مئة عنوان

وعنوان يثبتونه لهؤلاء! والغريب نحن عندما ندعي هذه العناوين من الطهارة والنزاهة والصدق وغيرها في عليٍّ عليه السلام وأولاد عليٍّ عليهم السلام، يقولون من أين ذلك؟ أفي القرآن؟ هذه مغالاة! مع أنه ورد في علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام ما لم يرد في أحد من العالمين. وأمامكم حديث الثقلين المتواتر بين علماء المسلمين، وهو يمدح علياً عليه السلام، أيوجد عندهم حديث واحد متواتر بين علماء المسلمين يمدح صحابياً غير علي (عليه أفضل الصلاة والسلام) أتحدي، وهنا موضع التحدي العلمي؟ وعندما لا ندخل في سجال معهم، لا لأننا لا نستطيع أن نجيب، بل لأننا نريد أن نبقي هذا الدفين على مدفونيته ولا نخرجه، ولكن عندما يضطروننا لذلك، نظهره لهم.

* قال ابن الأثير: «ولأن السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين، إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها ورواتها، وأولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله، فإذا جهلهم الإنسان، كان بغيرهم أشد جهلاً وأعظم إنكاراً، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم وأحوالهم، هم وغيرهم من الرواة حتى يصح العمل بما رواه الثقات منهم، وتقوم به الحجة؛ والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك، إلا في الجرح والتعديل، فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح والتعديل...».[٢٣]

إذن فلا يحق لأحد أن يجرح صحابياً، وليس له أن يسأل عن دليل عدالته؛ فهناك ملازمة بين كونه صحابياً وبين كونه عادلاً، فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح؛ لأن الله عزّوجلّ زكاهم وعدلهم وأيضاً رسولُه صلى الله عليه وآله فمن الناحية العملية يتعاملون مع الصحابة تعاملهم مع المعصوم، وذلك

مشـــهور عندهم وعبارتهم واضحة في هذا الخصوص: «اتفق أهل الســـنّة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة».

إذن بمجرد أن تسأل عن عدالة صحابي، فأنت من المبتدعة، ومن شذوذ المبتدعة، ثم يســـتدل بكلام الخطيب في الكفايـــة يقول: «وقد ذكر الخطيب في الكفايـــة فصلاً نفيســـاً في ذلك، فقال: عدالة الصحابـــة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم».

فليسوا فقط هم عدول وإنما مطهرون. واستدلالات الخطيب في الكفاية هي:

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

عجيـــب، وهل هناك ترادف بـــين الأمة والصحابة؟! أنـــا لا أعلم من أين جاء هذا التفســـير المعوج والســـقيم؛ أنّ الأمـــة المذكورة في الآية تعني الصحابـــة. الآية تتكلم عـــن أمة محمدﷺ فلماذا تقولـــون: إنّ المراد بها صحابة رسول اللهﷺ؟ وهل انتهت الأمة وتوقفت عند ذلك العصر، وعند الصحابة؟ فعنوان الأمة أعمّ من الصحابة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

طبيعي ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ إن شاء الله تعالى، ولكن ما علاقتها بالصحابة؟

لقد ذكرت بشـــكل واضح وصريـــح، وأعيد أني أتحدى كل مدرســـة الصحابـــة أن يأتوا بآية من القرآن الكريـــم تتكلم عن الصحابة بالمعنى المصطلـــح عليه في كلمات علمائهم، نعم وردت الصحبة بالمعنى اللغوي، أما الصحبة بمعنى صحابة رسول اللهﷺ فلم ترد.

وقد يقول قائل: إذن ماذا تقول في المهاجرين؟

نقول: نعم نحن أيضاً نقبل المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ولكــن الكلام عن عنوان الصحابة المصطلــح، هذا العنوان لم يرد، ونحن لابــد أن ندور في القرآن مدار الهجرة، مدار النصرة، مدار التابعية، لا مدار الصحبة والصحابة بهذا المعنى: «ومن رآه فقط».

وقــد يقول لنا قائل: إذن ماذا تقول في قولــه تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ﴾؟

نقــول: إنّ المراد مــن صاحبه هنا، هل هو المعنــى المصطلح للصحابي أو المعنى اللغوي؟ فقد اســتعمل القرآن هذه المفردة في أكثر من تســعين مورداً، لكنه لم يتعرض للمعنى الاصطلاحي الذي يقوله هؤلاء الأعلام من مدرسة الصحابة.

وقد يقول لنا قائل: ماذا تقولون عن هذه الآيات:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾؟

نقول: هذه الآية تتحدث عن المؤمنين الذين يبايعون تحت الشجرة، فما علاقتها بالصحابة؟

وعن: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾؟

نقول: هذه الآية أيضاً تتكلم عن المهاجرين والأنصار والتابعين، لا عن عنوان الصحابة؛ ولا يوجد ترادف بين عنوان الصحابة وعنوان المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحســان، فعنوان الصحابة أعم من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

وعن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟

نقول: نعم التابعية لرسول الله صلى الله عليه وآله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾.

وهكذا عشرات الآيات التي وقفوا عندها، ولا دلالة فيها على الصحابة بالمعنى المصطلح، وسيأتي بحثها إن شاء الله تعالى. هذا هو الأمر الأول.

أما الأمر الثاني: فهو أنهم ذهبوا إلى أنّ من كان صحابياً، فهو من أهل الجنة في الآخرة بلاريب ولا شك، فالصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً. لا أنّ مآلهم إلى الجنة، بل أساساً لايدخل أي واحد منهم إلى النار، فعل ما فعل، فأمره إلى الجنة حتى لو قتل خليفة من الخلفاء الأربعة، حتى لو حارب المسلمين، حتى لو قتل الحسن والحسين.

فماذا يفعلون بالفئة الباغية التي خرجت على علي عليه السلام في صفين، والحديث النبوي: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية» وكان عمار مع علي عليه السلام، وهم يصرحون أنّ هذا الحديث لا مجال للإنكار والشك فيه؟ أيكون الباغي من أهل الجنة؟ ولكنهم يقولون: اجتهد فأخطأ.

إذن تبين أنّ الصحابي له أن يفعل ما يشاء، وإن كان باغياً، وإن كان فاسقاً، وإن كان شارباً للخمر، وإن كان قاتلاً، وإن وإن وإن عبّر ما تشاء، فهو من أهل الجنة.

ولذا انظروا الإصابة في تمييز الصحابة؛[٢٤] يقول أبو محمد بن حزم: «الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً، قال الله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾».[٢٥]

أقول: إنه وعد للمنفقين، لا وعد لكل الصحابة.

ثم يقول: «وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.[٢٦] فثبت أنّ الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار...».

من هؤلاء؟ هم الصحابة. فالصحابي لايدخل النار، وبعد ذلك يخرج منها مثلاً بشفاعة، ولا أنّ مآله إلى الجنة، بل أساساً لا يصل إلى النار، ويدخل الجنة؛ لأنّ رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله عصمته من النار، هذا منطق مدرسة الصحابة. وكل ما أريده قليل من التدبر في هذه النظرية؛ ليحكم القارئ هل رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله بما هي رؤية تعصم الإنسان من كل خطأ، وتضمن له الجنة؟!

وقد يقول قائل منهم: إننا لا نقول بعصمة الصحابة، نقول: نعم، ولكنكم تقولون بعدالتهم، أي أنهم لا يفعلون فعلاً بعمد، نعم قد يصدر منهم فعل خطأً، ولكنه في درجة من الدرجات أعطيتم لهم العاصمية والعصمة، أنهم لا يكذبون، لا يقتلون، لا يزنون، لا يشربون الخمر، لايسبون، لا يلعنون، إلى غير ذلك عمداً، وهذه درجة من درجات العاصمية، بل أكثر من ذلك، أنّ الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار؛ لأنهم المخاطبون كما قلتم: «فثبت بالآية السابقة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

مع أنّ هذه الآية والتي سبقتها لاعلاقة لها بالصحابة، لا من قريب ولا من بعيد، وإذا كانت تشمل، فهي تشمل جماعة معينين من الصحابة، قبل الفتح وبعد الفتح، فالآيات ليست بصدد بيان عنوان الصحابة بالمعنى الذي أشار إليه أعلام مدرسة الصحابة.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ من أهل البيعة أنفسهم.

وكل هذه الآيات سنتعرض لها واحدة واحدة، ونقرأ الآيات التي سبقتها والآيات التي لحقتها، ونتدبر في نفس الآيات القرآنية.

**إذن فما هو مرادهم من العدالة؟**

وهي مسألة مهمة، وأحيل المتابع إلى كتاب (الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي) مركز الدراسات التاريخية في المملكة الأردنية، تأليف حسن بن فرحان المالكي، وهو من المعاصرين، ورجل فاضل ومحقق باحث، وله كتابات متعددة في هذا المجال.

في كتابه هذا يوجد عنوان مهم: مفهوم عدالة الصحابة. يبين المراد من العدالة لغةً واصطلاحاً في مدرسة الصحابة، لا العدالة عندنا

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وهو يذكر اثني عشر تعريفاً لأعلام مدرسة الصحابة:

تعريف ابن الحاجب، وتعريف سعيد بن المسيب، وتعريف الإمام إبراهيم النخعي، وتعريف ابن المبارك، وتعريف الشافعي، وتعريف أبي بكر الباقلاني، وتعريف الخطيب البغدادي، وتعريف ابن الهمام، وتعريف القرافي، وتعريف الإمام أبي حامد الغزالي، وتعريف السبكي، وتعريف السيوطي، هذه هي تعاريف العدالة.

وأنا أقف عند تعريفين منها:

## التعريف الأول:

في صفحة (٢٠٩) من هذا الكتاب، وهو تعريف الأصولي الأول ابن الحاجب، وهو من أشهر التعريفات كما يقول وهو كذلك؛ وهذا التعريف قريب من التعريف الذي يذكره جملة من علماء وأعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فقد عرّف العدالة بقوله: «هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ليس معها بدعة، وتتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر وبعض المباح كاللعب بالحمام والاجتماع مع الأراذل والحرف الدنية مما لا يليق به ولا ضرورة».

وهذا يعني أنّ الإنسان لايكون عادلاً إلا إذا اجتنب الكبائر، وترك الإصرار على الصغائر، بل أوسع من ذلك يقول ابن الحاجب: وبعض المباح أيضاً، لا فقط أنه إذا قام بذنب كبير فإنه يخل بعدالته، بل إذا

أصــرّ على الصغيرة يخل بعدالته، وإذا فعل بعض المباحات أيضاً يخل هذا بعدالته.

وأنــا لا أقول هذه هي العصمة المصطلحة عندنا، ولكن هذه درجة من درجات العصمة، وإن كانت دائرة ضيقة. وكيف يكون عادلاً من كان باغياً وخارجاً على إمام زمانه؟!

شيء غريب هذا المنطق، يخرج على الخليفة المبايع له، وهو علي بن أبي طالب ويحاربه، ورســول الله صلى الله عليه وآله يعبّر عنه بالفئة الباغية، ومع ذلك يقولون إنه يجتنب الكبائر والمباحات؛ كيف يكون هذا؟

## التعريف الثاني:

وهو تعريف الباقلاني، يقول: العدالة المطلوبة في صفة الشاهد والمخبر هي العدالة الراجعة إلى استقامة دينه، وسلامة مذهبه، وسلامته من الفسق، ومــا يجري مجراه؛ مما اتفــق ـ يعني بين أهل العلم ـ على أنه مبطل للعدالة من أفعال الجوارح والقلوب المنهي عنها.

عجيب، فليس فقط أفعال الجوارح، بل أفعال الجوانح؛ الأفعال القلبية، أي بعض الذمائم، أو بعض الأمور المذمومة أخلاقياً أيضاً، لو ارتكبها فهي تؤدي إلى سقوط عدالته.

إذن هذه هــي العدالة التي يقولونها في الصحابة، ويتصفون بها بمجرد رؤيتهم لرســول الله صلى الله عليه وآله. وأيضاً يحظون بالترضي عليهم، فالترضي يشمل عندهم لا المنافقين فقط، بل يشمل كل من ارتكب ذنباً وإثماً، وشرب خمراً، وأقيم عليه الحد في زمن رســول الله صلى الله عليه وآله أو بعده، ويشــمل كل من لعنهم

رسول الله صلى الله عليه وآله ويشمل كل من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتلهم، جاء هذا بالنصوص الصحيحة في روايات مدرسة الصحابة، التي قالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن ثلاثاً، لعن خمساً، لعن ستاً، وطردهم رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة.

وعندما نقلنا طبقات الصحابة من كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري قال: يشمل الطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة كأبي سفيان ومعاوية، معاوية الذي هو الفئة الباغية بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المقبول عند المدرستين، ويشمل أبا سفيان وأولاد أبي سفيان وجميع المروانيين بمن فيهم من طردهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاده، وعمرو بن العاص وولده.

فكل الصحابة عدول، حتى ولو كانت رواياتهم في جرح علي وأهل البيت عليهم السلام، كأولئك الذين سبّوا عليّاً، وطعنوا عليّاً، وطعنوا في عليّ، وقاتلوا عليّاً عليه السلام.

يقول ابن تيمية: «وقد عُلم قدح كثير من الصحابة في علي».[٢٧]

إذن يعتبرهم صحابة وهم يقدحون في علي. أما ماهو التوجيه لهذا؟ التوجيه جملة واحدة: اجتهد فأخطأ. فعليٌّ يُعطى أجرين، والصحابي يعطى أجراً، والمجتهد المخطئ له أجر واحد.

هذا نص، وهناك نص آخر من منهاج السنّة:

يقول: «إنّ الله قد أخبر أنه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات ودّاً ـ كما في الآية (٩٦) من سورة مريم ـ وهذا وعد منه صادق، ومعلوم أنّ الله قد جعل للصحابة مودة في قلب كل مسلم، لا سيما الخلفاء رضي الله عنهم، لا سيما أبوبكر وعمر، فإنّ عامة الصحابة والتابعين كانوا يودّونهما، وكانوا خير القرون، ولم يكن كذلك عليٌّ؛ فإنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا

يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه».[٢٨]

أنا لا أعلم من أين معلوم أنّ الله قد جعل...؟ ولكن ابن تيمية كثير عنده من هذه المرسلات التي يرسلها بلا دليل ولا استدلال. فقد جعلها أولاً عامة في الصحابة ثم خصصها بالخلفاء، مراده الخلفاء الأربعة، ثم خصصها بأبي بكر وعمر.

لا يقول لنا قائل: صحيح مسلم وصحيح البخاري.

نقول: هما حجة عليكم لا حجة علينا، لابد أن تأتوا بروايات مجمع عليها بين المدرستين.

يقول: «فإنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه». شيء غريب يا أخي قد اختلف معك، لماذا أسبك؟ لماذا أقاتلك؟ لماذا أبغضك؟!

ثم ما حكم هؤلاء الصحابة والتابعين الذين كانوا يبغضون عليّاً ويسبونه ويقاتلونه» في ضوء حديث: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»و«من سبَّ عليّاً فقد سبني»؟

أليس «من سب أصحابي فليس مني»؟ ألم يكن عليٌّ صحابياً؟

ألستم تقولون: من انتقد صحابياً فهو زنديق ومبتدع؟ ألم يكن عليٌّ صحابياً؟

وإذا كان الأمر كذلك أنتم على من تترحمون وتترضون؟! ولماذا تطالبون الشيعة بأنّ يترضوا عنهم ماداموا سبابين وقاتلين؟!

أنتم السبّابون، وإلا نحن واقعاً لا نسب، فأميرنا أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «لا تكونوا سبّابين» ولا يقول لنا قائل بأنكم لماذا تلعنون لا، لا، لا،

اللعن أمر قرآنـــي: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ والسبُّ أمر غير أخلاقي، وإلا إذا كان اللعن سبّاً فأول من يسبُّ هو الله تعالى، فهذا منطق من لم يتدبر القرآن الكريم.

المهم، من هذا كله انتهينا من نقطتين أساسيتين:

## النقطة الأولى:

مـــا هو تعريف الصحابي؟ وتبين أن هناك نظريتين أو أن هناك تعريفين لمفهوم الصحابي والصحبة في مدرسة الصحابة:

النظرية الأولى: الـــتي تعتقد أن كل من ألتقى النبيﷺ حتى لو لم يكن قـــد بلغ الحلم فهو صحابي. والكلمات الواردة في هذا المجال كثيرة، أشـــير إلى بعضها:

قال الســـيوطي في تدريب الراوي: «ولا يشترط البلوغ على الصحيح، وإلا لخرج من أجمع على عده من الصحابة...».

إذن كل من رأى النبيﷺ وإن لم يبلغ الحلم فهو صحابي.

النظرية الثانية: كانت تضيق الدائرة بشـــروط وضعتها: بشرط أنه غزا معه، بشـــرط أنه جالسه، بشرط أن يكون كذا وكذا، فهي تذكر مجموعة من القيود.

## النقطة الثانية: العدالة

وسواء كانت النظرية الأوسع أو النظرية الأضيق، فالنتيجة واحدة؛ وهي أنهم يعتقدون بعدالة الصحابة جميعاً، ســـواء على مستوى التعريف الأول

للنظرية، أو على مستوى التعريف الثاني لها.

هاتان هما النقطتان أو الركنان الأساسيان في نظرية مدرسة الصحابة:

ـ الصحابي هو: كل من رأى النبيﷺ أو من غزا مع النبيﷺ لا فرق.

ـ الصحابة كلهم عدول، وتجب لهم الجنة، ولا يدخلون النار على الإطلاق، يعني أن مجرد رؤية النبيﷺ أو مجرد أنه عاش مع النبيﷺ سنة واحدة، أو مجرد أنه غزا مع النبيﷺ غزوة فهو عادل في الدنيا، وقوله مقبول، وصادق، ولا يكذب فعل ما فعل فإنه يبقى عادلاً، وكل ما صدر منه لابد أن نجد له تأويلاً، لابد أن نجد له توجيهاً، لابد أن نقول: إنه اجتهد فأخطأ، ونحو ذلك من الآثار التي رتبوها على هذه النظرية، هذا مضافاً إلى أنه فعل ما فعل فإنه سوف يكون مثاباً في الآخرة، ويدخل الجنة حتى ولو قتل صحابياً، بل حتى ولو قتل خليفة من خلفاء المسلمين، كما أنهم يعتقدون أنّ عمرو بن الحمق الخزاعي كما يذكر ابن سعد في الطبقات أنه هو الذي قتل عثمان بن عفان، فبناءً على نظريتهم لابد أن يقبلوا أنه اجتهد فأخطأ، ولا يمكن أن يحاسب... طبعاً نتائج خطيرة ونتائج عجيبة تترتب على هذه النظرية، لعلّنا نوفق إن شاء الله تعالى فنبين النتائج التي تترتب على نظرية عدالة الصحابة جميعاً.

## نظرية ابن تيمية:

وأما نظرية الشيخ ابن تيمية حول عدالة الصحابة، و من هو الصحابي؟ وحول من انتقد الصحابي ونحو ذلك، وتعريفه للصحبة والصحابة يتفق مع النظرية الأوسع للصحبة، فنجدها في كتابه المعروف؛ الصارم المسلول

على شاتم الرسول؛[٢٩] وبعد أن ينقل رواية للبرقاني في صحيحه: «لا تسبّوا أصحابي، دعوا لي أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق كل يوم مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

يقول: والأصحاب جمع صاحب، والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه، وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها ـ يعني صحبه قليلاً أو صحبه كثيراً ـ.

لأنه يقال: صحبته ساعة ـ إذن من صحب النبيﷺ ولو ساعة فهو صحابي، وهذا يعصمه في الدنيا والآخرة، بمجرد أنه صحب النبيﷺ لساعة واحدة، هذا عاصم له، فهو صادق لا يكذب أبداً، وإذا قتل أيضاً يذهب إلى الجنة، وفي الآخرة النار محرمة عليه، هذه نظرية هؤلاء القوم ـ قال: صحبته ساعة، وصحبته شهراً، وصحبته سنةً، قال الله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾.[٣٠] قد قيل: هو الرفيق في السفر، وقيل: هو الزوجة. ومعلوم أنّ صحبة الرفيق وصحبة الزوجة قد تكون ساعة فما فوقها، وقد أوصى الله به إحساناً مادام صاحباً، وفي الحديث عن النبيﷺ: «خير الأصحاب عندالله خيرهم لصاحبه...».

إذن الشيخ ابن تيمية من أولئك الذين يعتقدون أنّ مصاحبة الشخص لرسول اللهﷺ ساعة، تكفي في أن يجعله عادلاً في الدنيا، معصوماً لا يكذب عمداً.

نعم، هم يعتقدون أنه عادل، والعادل قد يخطئ، ولكن يخطئ سهواً، يخطئ نسياناً، لا أنه يخطئ عمداً، وإلا إذا أخطأ، أو سبّ، أو أبغض، أو فعل ما فعل عمداً، يسقط عن العدالة، والصحابي عندهم لا تسقط عنه العدالة

أبداً، ليس أنه تارة يكون عادلاً، وأخرى يكون فاسقاً، لا أبداً، هم يرون أنّ الصحابي عادل في الدنيا دائماً وأبداً، حتى لو قتل خليفة المسلمين فهو مجتهد أخطأ، وهذا ما صرحوا به ونقلنا كلمات ابن كثير.

و معاوية مع أنّ النبيﷺ سمّاه الفئة الباغية، وقالﷺ: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية». قالوا: نعم، هو كان باغياً، ولكنه مع ذلك فهو مجتهد أخطأ له أجر، والمجتهد المصيب له أجران، وهكذا حتى بالنسبة لقتل الإمام الحسينعليه السلام في كربلاء، فابن كثير يقول: تأول جماعة، فتصوروا أنّ الحسين يريد أن يفرق وحدة المسلمين، ففعلوا ما فعلوا، ويزيد لم يكن راضياً عن هذا العمل إلى آخره، هذا بحثه سيأتي.

فخلاصة نظرية مدرسة الصحابة بشكل عام وبالخصوص نظرية الشيخ ابن تيمية: أنّ مجرد صحبة ساعة لشخص مع النبيﷺ يجعله عادلاً مادام في الدنيا، وناجياً من النار في الآخرة، ومن أهل الجنة جزماً، وقد قرأنا عبارات الأعلام في هذا المجال، ومنها ما جاء في كتاب الإصابة، وقال أبومحمد بن حزم: «الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً».[٣١]

ولو قتلوا علي بن أبي طالب، ولو قتلوا عماراً، ولو قتلوا الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ولو قتلوا الحسين بن علي في كربلاء، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإمامان إن قاما وإن قعدا، حتى من قتلهما يدخل الجنة. فهما في الجنة وقاتلهما معهما في الجنة! أي منطق هذا؟! وأي دين هذا؟!

وأنا لا أقول: إنّ جميع مدرسة الصحابة هذا منطقهم، ولكنه منطق هذه النظرية، التي تعتقد بعدالة الصحابة كلهم، وأنهم من أهل الجنة قطعاً.

وليس جميع علماء مدرسة الصحابة يؤمنون بهذه النظرية فهناك جملة من أعلام مدرسة الصحابة تضيق دائرة الصحبة.

هذه النظرية في زماننا يدعون لها ويتبنونها، يحاولون أنّ يوهموا المسلمين أنها مسألة إجماعية، وهي في الواقع ليست كذلك، فهي نظرية مجموعة من علماء المسلمين منهم الشيخ ابن تيمية، والآن هذه النظرية تتبناها السلفية الحديثة، ونحن نعلم جميعاً أنهم لايمثلون عدداً كبيراً، وليست لهم نسبة كبيرة بين المسلمين، وأيضاً هي موضع خلاف بين أتباع مدرسة الصحابة، وليس كل علماء مدرسة الصحابة يعتقدون بهذه السعة لتعريف الصحبة والصحابة.

**الانتقاص:**

وهنا نتعرض إلى حكم من انتقص صحابياً، وهو من أهم الآثار المترتبة على نظرية عدالة الصحابة في مدرسة الصحابة، فبعد أن آمنوا بأنّ جميع الصحابة عدول، وأنهم جميعاً من أهل الجنة، وأنهم لا يدخلون النار فعلوا ما فعلوا.. فما هي النتيجة الطبيعية المترتبة على ذلك؟

قالوا وبشكل صريح: إنّ من انتقص صحابياً فهو زنديق.

وأنتم تعلمون أنّ الزنديق هو الذي لا دين له، يعني لا يؤمن لا بالمعاد، ولا بشيء...

وكلماتهم مختلفة في ذلك:

بعضهم يقول: إنّ من سبّ صحابياً؛ وبعضهم قال: من انتقد صحابياً؛ يعني من ذكر عيباً في صحابي، فهو زنديق، وآخرون قالوا: من أبغض

صحابياً، فهو كافر وزنديق ويقتل و... إلى غير ذلك.

فبسر بن أبي أرطأة أو الحكم بن العاص أو عبد الملك، وبعضهم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله، هذه النظرية تعتقد أنّ من أبغض واحداً منهم فهو زنديق.

وهذا من الغرائب واقعاً أنّ شخصاً لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله بروايات صحيحة وصريحة، ومع ذلك من انتقده فهو زنديق، من أبغضه فهو زنديق، من قاتله فهو كافر يستحق الخلود في النار. هذه من أهم نتائج نظرية عدالة الصحابة.

وقد يقول القائل: لماذا تنسب إليهم ما لا يقولون؟

والجواب:

أنظر «الإصابة في تمييز الصحابة» العبارة واضحة وصريحة: «اتفق أهل السنّة على أنّ الجميع عدول...» وقد ذكر الخطيب في (الكفاية) فصلاً نفيساً في ذلك، فقال: «عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم...». وفي الصفحة نفسها يقول: ثم روى بسنده ـ يعني الخطيب ـ إلى أبي زرعة الرازي، قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله، فاعلم أنه زنديق».[٣٢]

لا يسبّ، لا يبغض، لا يقاتل، بل فقط يذكر نقصاً، يذكر عيباً فيه.

كيف عندنا الروايات، التي إن شاء الله بعد ذلك سنقرأها، «من أبغض علياً فهو منافق»، فمن علامات النفاق بغض عليٍّ، وهذا باتفاق علماء المسلمين، باتفاق كل كلماتهم، حتى ابن تيمية يعتقد بأنّ هذا الحديث صحيح: «لا يحبه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق».

نعــود إلى كلامه: «... فاعلم أنه زنديق، وذلك أنّ الرســول حق، والقــرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينــا ذلك كله الصحابــة، وهؤلاء يريــدون أن يجرحوا شــهودنا؛ ليبطلــوا الكتــاب والســنة، والجرح بهــم أولى، وهو زنادقة».

فــإذا انتقدنــا صحابياً،فكأنماانتقدنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

أنا لا أعرف كيف يجمعون بــين قولهم: حتى لو لم يرو رواية، وبين إذا انتقدناه فقد انتقدنا راوي السنّة؟ لو روى لنا رواية عن

رســـول الله، نقول: لو انتقدناه فقد انتقدنا رســـول الله، لكن أنتم قبلتم أنّ الصحابي أوســـع من هذا، حتى من رآه ولم ينقل عنه رواية، شـــيء غريب تناقضات واقعاً بعضها فوق بعض، ظلمات بعضها فوق بعض.

«وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شـــهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة». ففي المرة الأولى: فاعلم أنه زنديق، وفي المرة الثانية: وهم زنادقة.

كتاب الكبائر، للإمام الحافظ شمس الدين أبي‌عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، وهو يشير إلى كبائر الذنوب:

الكبيرة السبعون: سبّ أحد من الصحابة رضوان الله عليهم.

يقول: «ثبت في الصحيحين أنّ رسول الله قال: يقول الله تعالى: من عادى لي وليّاً، فقد آذنته بالحرب، وقال: لا تســـبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده ...».[٣٣]

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رســـول الله، وســـبهم وافترى عليهم وعابهم، وكفرهم واجترأ عليهم... إلى أن يأتي في (صفحة٢٥٢) فيقول: «فحـــبّ أصحاب النبي عنوان محبته، وبغضهم عنوان بغضه كما جاء في الحديـــث الصحيح: حبّ الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق، وما ذلك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم...».

طبعاً هذه الأحاديث والتي تأتي أيضاً مختصة بهم؛ كما ذكرنا على المنهج ليست حجة علينا وإنما حجة عليهم.

ففي المنهج أن تكون هناك رواية متفقة بين المدرســـتين، أما أنهم يأتون برواية في كتبهم لايعلم أين ســـندها، بل حتى لو علم سندها، بل حتى لو

ذكرت في صحيح البخاري، فهي ليست حجة علينا، كما أنّ أحاديثنا في الكافي والبحار ليست حجة عليهم.

محل الشاهد: «فمن طعن فيهم أو سبهم، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين؛ لأنّ الطعن لا يكون إلاّ عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله في كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله من ثنائه عليهم وبيان فضائلهم...».

أنا لا أعلم أين أثنى الله سبحانه وتعالى في القرآن على جميع الصحابة؟ نعم القرآن أثنى على المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وما من عام إلا وقد خصّ وسيأتي بحثه.

ثم يقول: «ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور، والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط، طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول...».

من طعن في صحابي في خبر، يعني ليس من حقنا أن نقول: هذا ليس بثقة، بمجرد أن نقول: ليس بثقة، ليس بعادل، فقد طعنا في صحابي، يقول: «والطعن في الوسائط طعن في الأصل» يعني طعن في رسول الله؛ أنظروا هذا الذي أنا ذكرته مراراً أنّ هؤلاء يعطون حكم العصمة عملياً للصحابة.

ثم يقول: «هذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق، ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته». فإذا وجدتم أحداً ينتقد أو يشك، فهو لا يخلو من النفاق، ولا يخلو من الزندقة، ولا يخلو من الإلحاد في عقيدته.

أما ما يقوله ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول. الكتاب مرتبط بمن يشتم الرسول وأحكامه، وفي آخر الكتاب فصل مرتبط

بشـــتم الصحابة. ففي صفحة (٥٦٧) يقول: فصل: «فأما من سبّ أحداً من أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم (بحسب نص الكتاب) من أهل بيته وغيرهـــم، فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضرباً نكالاً، وتوقف عن كفره وقتله».

يقول: قال عبدالله: ســـألت أبي عمّن شتم أصحاب النبي، قال: أرى أن يضـــرب، قلت له: حدًّا؟ فلم يقف على الحدّ، إلا أنه قال: يُضرب، وقال: ما أراه على الإسلام.

بعد ذلك يأتي الشـــيخ ابن تيمية في صفحة (٥٦٧) ويبدأ ينقل الأقوال الأخرى في هذا المجال، فيقول: وأما من قال: «يُقتل الســـابُّ» أو قال: «يَكفُر» فلهم دلالات احتجوا بها:

ثم يشير إلى مجموعة من الأدلة، منها:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾.

إلى أن يأتـــي في صفحة (٥٧٩) فيقول: قال عبدالله بن إدريس الأودي: ما أمن أن يكونوا قد ضارعوا الكفار ـ يعني الرافضة ـ أي هم يوازون الكفار؛ لأنّ الله يقـــول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ وهذا معنى قول الإمام أحمد: «ما أراه على الإسلام».

وبعد أن يستدل على ذلك بالآيات، يقول: وفي السنّة من وجوه صحيحة عـــن يحيى بن عقيل: حدثنا كثـــير... ورواه أيضاً من حديث أبي شـــهاب عبدربه بن نافع الخياط، عن كثير النواء، عن إبراهيم بن الحســـن عن أبيه عن جده يرفعه قال: يجيء قوم قبل قيام الســـاعة يسمّون الرافضة براءٌ من الإسلام.

ثم يقول بأنّ هناك شـــواهد كثيرة على صحـــة هذه المعاني، منها إلى أن ينقل في الضمن يأتي إلى هذه النتيجة، أنا لا أريد أن أعلق الرواية ينقلها، قال: قال علي، قال رســـول الله، الرواية التي ينقلها عن علي عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ـ وإنما أضيف (وآله) حتى لا أبتلي بمخالفة «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء» وعن هذه الصلاة البتراء ســـأبينها إن شاء الله في الوقت المناســـب ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «ألا أدلك على عمل إذا عملتـــه، كنت من أهل الجنة؟ وإنك مـــن أهل الجنة...». فهذه جملة معترضة يريد الرسول أن يقول لعلي: أدلك على عمل إن عملته، يوصلك إلى الجنة. وليس بالضرورة أن يعمله عليٌّ حتى يدخل الجنة؛ لأنّ عليّاً من أهل الجنة. فما هو ذلك العمل الذي يوصل الإنسان إلى الجنة؟

وهذه تتمة الرواية: «إنه ســـيكون بعدنا قومٌ لهم نَبزٌ يقال لهم الرافضة، فإن أدركتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشـــركون، قال: وقال علي رضي الله عنه: ســـيكون بعدنا قوم ينتحلون مودتنا، يكذبـــون علينا، مارقة، آية ذلك أنهم يسبون أبابكر وعمر رضي الله عنهما».

ويذكـــر رواية أخرى، عن علي رضي الله عنه: «يخرج في آخر الزمان قومٌ لهـــم نَبزٌ، يقال لهم الرافضة، يُعرفون به، وينتحلون شـــيعتنا، وليســـوا من شيعتنا، وآية ذلك أنهم يشتمون أبابكر وعمر، أينما أدركتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون».

فهذه النظرية تبيّن أنّ الشيعة وأنّ أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام مشركون، وأنه يجب قتلهم، وأنها هي الطريق إلى الجنة، ويتقربون إلى الله بقتل شيعة علي وأهل بيته. وأساسها النظري موجود عند ابن تيمية، فإذا وجدتم أئمة

أو إمام الجماعة في المسجد الحرام يدعو إلى قتلهم، وتطهير الأرض منهم، فإنّ هؤلاء الأئمة أتباع هذا المنهج، وهم على هذه القاعدة، وهذا الذي عبرنا عنه بالسلفية الحديثة. وتطبيقات هذا الأساس النظري ما تجدونه في العراق من إراقة دماء مئات الآلاف من شيعة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام بعناوين مختلفة، سواء كان في كربلاء أو في الكاظمية، في مناسباتهم و في زياراتهم، كل هذا أساسه النظري عند الشيخ ابن تيمية.

فالذين يخرجون على الفضائيات مع الأسف الشديد، ومن باب الحمل على الصحة أقول: إنّ هؤلاء جاهلون بتراثهم حين يقولون: أين نشتم؟ أين نكفّر؟ أين نسبّ؟ أين نقتل؟ أين نأمر بالقتل؟

يظهر أنهم لم يقرأوا هذا التراث، وإذا قالوا: إننا قرأنا هذا التراث، إذن بدأوا يستغفلون الناس، يستغفلون المسلمين.

هذه نظريات الشيخ ابن تيمية، وهناك كلمات أخرى له فهو صاحب نظرية أينما وجدتم الرافضة فاقتلوهم، إذا أردتم الدخول إلى الجنة. ولذا يتقربون إلى الله بقتل شيعة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

المهم أنّ هذه هي نظرية السلفية قديماً والسلفية حديثاً، ولكنهم لا يمثلون إلا عدداً قليلاً من المسلمين، وإلا عموم المسلمين ليس تعاملهم مع أتباع مدرسة أهل البيت وفقاً للنظرية المذكورة، أنظروا إلى كبار علماء الأزهر، الذين قالوا بصحة التعبد بمذهب أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهذا يكشف عن أنهم آمنوا بأنهم مسلمون، نعم اختلفنا، ولا مشكلة في الاختلاف، ألا يوجد الاختلاف بين المسلمين من أتباع الصحابة أنفسهم؟ نعم، يوجد، ولكن مع الأسف الشديد نظرية التكفير، نظرية

القتل، نظرية أنهم مشركون، نظرية تقربوا إلى الله بقتلهم، هذه نظرية ابن تيمية ومن تبعه.

ثم إنّ الشرك بالله أمر واضح، فما علاقة السبّ بالشرك؟ هذا أسلوبهم، فنحن في بحث الأطروحة المهدوية عندما ذكرنا كلمات الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، يخرجون على الفضائية مباشرة يقولون: إنّ السنّة والجماعة يعتبرونه كافراً زنديقاً، وهذه طبيعتهم فبمجرد أن لا يتفق أحد معهم في الأسس العقائدية التي يؤمنون بها، وفي الأسس النظرية التي يؤمنون بها، نجد أنهم يبدأون بنظرية التكفير، وأنهم مشركون إلى غير ذلك. وأنا لاأريد أن أدخل في التفاصيل، لكن أريد أن أقول: عموم النظرية هذا منشؤها.

هذا، وبعد أن يشير ابن تيمية إلى مجموعة من الروايات في هذا المجال، ومن غير أن يرد هذا القول الثاني، ينتهي إلى هذه النتيجة في صفحة (٥٨٦) من هذا الكتاب: «فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي يجلدان حدَّ المفتري لمن يفضّل علياً على أبي بكر وعمر، أو من يفضل عمر على أبي بكر، مع أنّ مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب، علم أنّ عقوبة السبّ عندهما فوق هذا بكثير».

إذا كان التفضيل يجلدون عليه، فماذا يفعلون بمن يسبّ؟ لا يصرح بأنهم يكفّرونهم ويحكمون بقتلهم.

وإذا هم يتكلمون عن روايات، فالروايات قالت: «لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد». ذلك ليس حديثي الآن.

إلى أن يقول في الصفحة نفسها: «وأما من سبهم سبّاً، لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم

أو عــدم الزهد ونحو ذلك، فهذا هو الذي يســتحق التأديب والتعزير، ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك،...».

منطــق غريب، إذا قلت هــذا ليس زاهداً، تعزّر، مــع أنّ الزهد ليس بواجــب. أو قلت: إن هذا الصحابي بخيل، تعــزّر، مع أنّ القرآن خاطبهم بقولــه: ﴿فَمِنكُمْ مَنْ يَبْخَلُ﴾.[٣٤] أو تقول: هذا قليل العلم، فإنك تســتحق التأديب والتعزير، علماً بأنّ بعض الصحابة لم يعيشــوا مع رسول الله إلا يوماً أو ساعة من نهار.

نعم، أصحاب هذه النظرية الســقيمة يترفقون بحالنا: «ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك». يمنون علينا حين لا يحكمون بكفر من قال ذلك.

فهذا الإرهاب الفكري لا أدري من أين جاء؟!

أي عاقل يقبل مثل هذا المنطق؟ أيوجد إنسان يحترم نفسه يقبل مثل هذا المنطق السقيم العليل المشلول؟

ما أدري ماذا أقول؟ و ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟!

ثــم أنتم تقولون: يوجد فاضل ويوجد من هو أفضل، ألســتم تقولون: إنّ الخليفــة الأول والثاني أفضل من عثمان وعلي، وتعتقدون أنهما أكثر علماً، فلماذا أعزّر إذا أنا قلت: إنّ فلاناً أكثر علماً، وفلاناً أقل علماً؟!

ثم يقول: «وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفّرهم من العلماء».

أي إذا وجــد من أهل العلم من لم يكفّر ســابّ الصحابة، يحمل على هذا، وإلا من يســب الصحابة، من يبغض الصحابة، من يلعن الصحابة، فهو كافر.

ليس فقط يكون كافراً، فهو يقول: «وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم

ارتدوا بعد رسول الله ﷺ ... فهذا لا ريب في كفره...».

يشير إلى بعض الذين قالوا بأنّ جملة من الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ وهي روايات صحيحة في صحيح البخاري. نعم اختلفنا في العدد، بعضهم قال: سبعة عشر نفراً، وبعضهم قال: تسعة عشر، وبعضهم قال: مئة أو ألف نفر... ليس هذا مهماً، بل المهم نظرية الارتداد، ليست مختصة بمدرسة أهل البيت، فهي موجودة عند الصحابة أيضاً؛ يقول: «فهذا لا ريب في كفره؛ فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم (يعني الصحابة)».

ثم يقول: «بل من يشك في كفر مثل هذا فإنّ كفره متعين».

فأنت أيها المسلم إذا شككت في أنّ شيعة أهل البيت كفار، فنظرية ابن تيمية هذه تقول لك: فأنت كافر.

هذا هو منطقهم معنا، ولكن ليس هذا منطقنا حتى مع السلفية، نحن نعتقد أنّ السلفية وعموم السلفية، بلا استثناء، بيننا وبين الله، هم إخواننا، نعتقد بإسلامهم، نعتقد بإيمانهم، لا يوجد عندنا أي مشكل. نعم نختلف معهم، وما المحذور في ذلك؟ نعم، لابد أن يكون الاختلاف على أساس علمي ومنهجي، بلا أن أكذبك، بلا أن أتهمك، بلا أن أرجعك إلى المجوس والنصارى، بلا أن أقول: أنت عميل وبلا أن تكفرني، وبلا أن تقول: أنت مشرك وبلا وبلا، يا أخي أنت أعرض نظريتك في فضائياتك كما تعرضها، وأنا أعرض نظرياتي أيضاً فيما أعتقد، والناس أحرار في أن يتخذوا هذا القرار أو ذاك.

وهنا أسأل الشيخ ابن تيمية بل كل من يتبعونه: إذا كان كل من سبّ

صحابياً، فلا أقل لابــد أن يضرب، ولابد أن ينكل به، بل يقتل بل يكفّر، فماذا تقولون فيما جاء في منهاج الســنّة: «ولم يكن كذلك عليٌّ، فإنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه..»؟[٣٥]

فهل ينطبق عليهم «كل من سب صحابياً..» أو لا ينطبق عليهم؟

ليس فقط يسبون علياً، بل يقاتلون علياً إذن على مبنى الشيخ ابن تيمية في كتابه الصارم المســلول، هؤلاء كلهم وهم من الصحابة والتابعين كفار يجب قتلهم. وهم رافضة. وهم زنادقة. وهم وهم وهم إلى آخره.

إلا أن يقول الشيخ ابن تيمية ومن حقه هذا: لا، نحن نصنف الصحابة: صحابة درجة أولى، وصحابة درجة ثانية. أو أنّ علياً ليس من الصحابة.

نعــم، هو يعتقد بــأنّ علياً صحابي، ولكن من الدرجــة الثانية، «فمن يســب الخليفة الأول والثاني والثالث، تنطبق عليه أحكام الإمام أحمد بن حنبل، الذي يقول بأنه يضرب وينتهي إلى الكفر، ولا أراه على الإسلام».

وأيضــاً مــن قتل عمــاراً، الذي لا شــك في أنــه من كبــار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

معاوية هو الذي قتله، ولكن معاوية يدخل الجنة؛ لأنه وحسب ما يذهبون إليه اجتهد فأخطأ، أما حين تصل النوبة إلى أبي بكر وعمر وعثمان. فالأمر مختلف!

## الهوامش:

١ . آل عمران: ١٣٨.
٢ . النساء: ١٧٤.
٣ . يوسف: ١١١.
٤ . النحل: ٨٩
٥ . سورة الحشر: ٧.
٦ . سورة النجم: ٣ ـ ٤.
٧ . سورة آل عمران: ٣١.
٨ . سورة المائدة: ٥٤.
٩ . سورة النساء: ٥٩.
١٠ . سورة النساء: ٨٠ .
١١ . كتاب المغازي، الباب ٨٣، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، طبعة مقابلة على النسخة السلطانية مزيدة ببعض الألفاظ من فتح الباري... ، في الحديث ٤٤٣٢.
١٢ . أسدالغابة١ : ١٨، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩ م.
١٣ . الإصابة١ : ١٥٨، التحقيق الدكتور جمعة طاهر النجار جامعة الأزهر، منشورات محمد علي بيضون؛ لنشر كتب السنّة والجماعة، دارالكتب العلمية بيروت لبنان.
١٤ . أنظر الإصابة في تمييز الصحابة:١، الفصل الثالث:١٦٢.
١٥ . جامع المسانيد والسنن، المقدمة١: ١٢٥، للإمام الحافظ المحدث المؤرخ الثقة عماد الدين بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي المتوفى ٧٧٤هـ ، دارالفكر، منشورات محمدعلي بيضون.
١٦ . الإصابة١: ١٥٨، الفصل الأول في تعريف الصحابي.
١٧ . المصدر السابق١: ١٥٩.
١٨ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) في الجزء الأول صفحة (٩و١٠).
١٩ . الإصابة١: ٧ـ ٨ .
٢٠ . معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، دارالكتب العلمية بيروت سنة (١٣٩٧هـ) الطبعة الثانية.
٢١ . سورة الفتح:٢٩؛ الاستيعاب، المقدمة، ١: ١١٥.
٢٢ . الإصابة ١: ٢٢ ؛ والكفاية : ٤٦ ، ٤٨ ؛ وأسد الغابة ١: ٩.
٢٣ . أسد الغابة، لابن الأثير١: ٩.
٢٤ . الإصابة في تمييز الصحابة ١ : ١٦٣.
٢٥ . الحديد : ١٠.
٢٦ . الأنبياء : ١٠١.
٢٧ . منهاج السنّة، ٧: ١٤٧، لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.
٢٨ . المصدر السابق ٧: ١٣٧.
٢٩ . الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام الإمام أحمد بن عبد الحليم عبد السلام الحراني الدمشقي المعروف بابن تيمية، حقّقه وفصله وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد،

مطبوع سنة (١٤١٥من الهجرة) شركة أبناء شريف الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.
٣٠ . النساء : ٣٦.
٣١ . الإصابة في تمييز الصحابة ١ : ١٦٣.
٣٢ . الإصابة في تمييز الصحابة١: ١٦٢.
٣٣ . كتاب الكبائر: ٢٥١، للإمام الحافظ شمس الدين أبيعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار التقوى، شبرا الخيمة منشية الحرية.
٣٤ . سورة محمد : ٣٨.
٣٥ . منهاج السنّة النبوية، لابن تيمية، طبعة المدينة، المجلد السابع (سنة١٤١١من الهجرة) وهي من الطبعات المحققة في هذا المجال.